د. شاكر الفحام: في محاضرة بجامعة قطر

تجربة الأسلاف في نقل ثقافات الأمم الأخرى إلى العربية دليل على الخصائص المميزة للغتنا

أ.د. شاكر الفحام

متابعة:
منتصر الديسي
تصوير: أحمد جودة

ألقى أ.د. شاكر الفحام مساء امس محاضرة بجامعة قطر تحت عنوان «اللغة العربية طاقة متجددة» حضرها عدد من عمداء واعضاء هيئة التدريس في الجامعة تحدث فيها عن اهمية تعليم العلوم باللغة العربية ودعا الى تعريب المصطلحات العلمية حتى لاينقطع ابناء اللغة العربية عنها فيضعف بذلك كيانهم. ذلك لأن للغة شانا في حياة الامة وتوثيق وحدتها ووفرت من الوسائل ما يسهل تعلمها ويجعلها الاداة الطيبة في التعبير عن خوالج النفس وقال ان لغتنا العربية هي قوام شخصيتنا ورمز وحدتنا انها وطننا الروحي واننا مستنفرون لنحافظ على سلامتها وجعلها تستجيب لمتطلبات العصر وتواكب التقدم التكنولوجي وان العربية لغة قادرة ان تواكب العصر بالاشتقاق المجازي فما واقع لغتنا العربية اليوم ونحن نودع القرن العشرين فهي تعاني من مشكلات وقضايا لم تجد الحل المسعف.

بل اصبح قسم من ابنائها يعتقد انها خاصة بالعلماء وهنا مكمن الخطر الذي يبعث على القلق ان خريجي الجامعات انفسهم يجدون صعوبة في التعبير عن انفسهم ويحسون بشيء من الغربة وهم يتكلمون وان ضعف اللغة قد ادى الى شعور بالعجز مما وسع الهوة بين العاميات واللغة السليمة.

واضاف: وكان من المامول ان تضيق الهوة لاتساع التعليم وكثرة المثقفين ويجب ان تتضافر جهود العلماء للدراسة والافادة من التقنيات الحديثة ولابد من العودة الى اللغة السليمة في قاعات الدرس وان تعنى وسائل الاعلام بالتخفف من اللهجات العامية وتحل محلها الفصحى والارتفاع بمهارات الدارسين وان العربية السليمة هي العاصم لنا من الشتات والضياع اما الجانب الاخر في الواقع العربي هو انصراف الجامعات عن التعليم باللغة العربية بدلا من ان تعمل على تطويرها وقد تفردت الجامعة السورية في التدريس باللغة العربية راضية عن نهجها واقتفت اثرها اخواتها الجامعات الثلاث ثم تبعتها جامعة الخرطوم وقال ان العزوف عن تعلم العربية هو دليل الانبهار بحضارة الغرب وان الواجب العلمي يلزمنا ان نعلم باللغة العربية ذلك ان التعليم بالعربية يعد من مجالات اهتمامات المجامع العربية والمؤسسات العلمية.

واضاف: قد اخترت عنوان محاضرتي اللغة العربية طاقة متجددة لأبين ان اللغة العربية واجهت بالامس مثلما تواجه اليوم مصاعب وعقبات ونجحت في ان تعبر عن المصطلحات الوافدة الجديدة ثم كانت لغة التعليم العلمي بحيث شيدت صرحا علميا هائلا.

ثم تطرق د. الفحام الى التجارب السابقة في التعليم بالعربية مشيرا الى تجربة الأسلاف الاوائل حيث ثقافات الامم الاخرى قائلا: ان الحضارة العربية الاسلامية خير دليل على ما تتحلى به العربية من خصائص وانفتاح بحيث غدت لغة التعليم والمعرفة في جميع البلاد الاسلامية حيث كان التعليم بالعربية موحدا في جميع الاقطار التي كانت في ظل الحضارة الاسلامية وما اكثر العلماء الذين تنبهوا الى جمال اللغة العربية مثل الجاحظ وابن تيمية والبيروني.. الخ.

واضاف: ولما ضعفت الامة العربية والاسلامية وتكالبت عليها الامم الاخرى خبا نجم العربية ذلك لان اللغة هي صورة الامة وظلت العربية تعاني من الركود حتى مطالع النهضة الحديثة التي انطلقت من مصر في عهد محمد علي فتدارك العلماء ان النهضة والحضارات لابد ان تقوم على اساسين وهما نقل العلوم والمعارف باللغة العربية والثاني الاعتماد على التراث والتواصل معه فكسروا قيود العزلة وذهب الموفدون منهم الى الغرب ونقلوا تعليمهم هناك وكان هم العلماء في ذلك الوقت هو نقل العلوم الى اللغة العربية واسسوا مدرسة الالسن للنهوض بهذا العمل العلمي بقدرة وكفاءة.. وضموا الى مؤلفاتهم عن الغرب الكتب التراثية وقد تبعت مصر في ذلك بلاد الشام.. وسارت على نهجها.

واضاف: ومازال خزائن الكتب في مصر وبلاد الشام تضم في رفوفها مجموعة قيمة من ذخائر الكتب في تلك الايام وهي تشهد على قدرة العربية على التعبير بحرية عن المصطلح الاجنبي، ولكن النهضة العلمية العربية لم يقدر لها ان تمضي الى غايتها.. فقد قطع عليها الاستعمار طريقها وحرمها من كل حق من حقوقها ومنح الناس حق العلم وفرض على الناس سياسة التجهيل والفقر وقد كان من الدول المستعمرة ان منعت حتى التدريس باللغة العربية في بعض البلاد الرامية من وراء ذلك الى طمس الشخصية المتميزة للامة العربية وان الخسارة التي اصبنا بها في عدم تعريب العلوم هي افدح خسارة ويكفيني ان اذكر هنا للدلالة عليها انه في الوقت الذي كان العرب يحاولون تلمس سبل نهضتهم كان اليابانيون ايضا يسيرون في الطريق إلا انهم نجحوا في نقل العلوم الى لغتهم وبقينا نحن على حالنا بدون ان نتقدم خطوة في هذا المجال.

ثم تناول د. الفحام مرحلة انشاء مجمع اللغة العربية بدمشق قائلا: لقد استطاع اساتذة الجامعة السورية ان ينهضوا بالعربية وبدأوا ذلك بالتعليم باللغة العربية منذ عام ١٩١٩ وكان عدد من الاساتذة اعضاء في المجمع العربي لتوثيق التعاون بين الجامعة والمجمع بحيث استعادت العربية رونقها وجمالها فصدرت عن الجامعة مجلة الطب العربي، وتوجت الجامعة جهودها بقيام ثلاثة من اساتذتها الاجلاء بتعريب المصطلحات الطبية في معجم كبير.

اما المجمع اللغوي فتابع مسيرته في النهضة بالعربية واصدر مجلته عام ١٩٢١ وتلاقت على صفحاتها اقلام الباحثين الذين تناولوا قضايا اللغة وسبل تطويرها.

وضمت المجلة ايضا محاورات تاريخية وادبية ونشرت طائفة من المحاضرات التي كانت تلقى في المجمع وعنيت بنشر المصطلحات لمواكبة المستجدات الحديثة.

ومازالت المجلة ماضية في طريقها تتابع هدفها في تبيان مدى عظمة اللغة العربية وتصدر الابحاث والمعاجم التي تبين عثرات اللسان والاخطاء اللغوية وتبوأ المجمع المكانة اللائقة التي جعلته محط انظار البلاد الاخرى فانشئت مصر مجمعها اللغوي عام ١٩٣٢ الذي سعى الى تعريب المصطلحات ووضع معجما تاريخيا للغة العربية وينظم دراسات للهجات الحديثة في مصر والدول العربية ومن ابرز اعماله وضع قرارات هامة تيسر مهام العلماء الذين يضعون مصطلحات علمية كذلك قراراته في التعريب والدراسات الجادة التي تحوي التحقيقات اللغوية التي تسعى للتسهيل على الباحثين.

وبعد مجمع القاهرة من ابرز المجامع العربية انتاجا كما انه اصدر المعاجم الهامة مثل المعجم الوسيط ومعجم الفاظ القرآن الكريم وغيرهما من المؤلفات التي قدمت خدمات جليلة للغة العربية.

وكان المجمع العراقي ثالث المجامع التي عملت على احياء اللغة العربية وتجديد شبابها ومن ابرز اعماله عنايته بالمصطلحات وكان اعضاؤه حريصين على التنسيق مع الاعضاء في دمشق والقاهرة وبالنسبة للمصطلحات وساعد المجمع على ترجمة كتب كثيرة واصدر مجلته لتكون ميدانا حرا لنشر المصطلحات المعربة وعرضت لمباحث شتى في التاريخ والعلوم ونشر المحاضرات التي كان يلقيها اعضاء المجمع وهكذا ساهمت المجامع العربية الثلاثة في تطوير اللغة العربية ولم يكن بد من اقامة تعاون بين المجامع الثلاثة لتنسيق جهودها التي تمخض عنه انشاء اتحاد المجامع الذي تتلخص اهدافه في توحيد جهود المجامع العربية في تعريب المصطلحات.

وقال: ثم تم انشاء المجمع اللغوي الاردني الذي من اهم مشروعاته مشروع التعليم العالي الجامعي واصدر المجمع مجلته ليؤدي رسالته نحو اللغة وكانت تترى على صفحاتها الدراسات التي تتناول قضايا اللغة وعني المجمع بتعريب المصطلحات ونشر جملة صالحة منها في مجالات المصارف والارصاد الجوية والزراعة.

كما سعى للمحافظة على سلامة اللغة والبحث في الطرق التي تسهل تعليم اللغة.

واضاف: ومما يثلج الصدر تاسيس اربعة مجامع لغوية هي مجامع تونس والخرطوم وليبيا والقدس ونامل ان تتضافر جهود هذا المجامع لنشر العلم بالعربية عبر الجامعات لكي تصبح منارة لمجتمعاتها. والتعليم بالعربية يجعل اللغة اداة التعبير العصرية تواكب العصر وتستجيب لمستجدات الحياة.

واضاف: ولن تزدهر اللغة وترقى إلا اذا قدر لها ان تعبر وتحسن التعبير عما وصل اليه الانسان فكرا او فنا.

وان الاختلاف اللغوي بين الجامعات يؤذن بالضعف العلمي وهو عزل للغة يفضي الى اضعاف كيانها ولاعجب ان يوفي علماء الامة ومفكروها هذا الموضوع اهتمامهم بحيث يظل البحث في التدريس بالعربية شغلهم الشاغل.